

الآداب المعنوية للدعاء



للدعاء آداب معنويةٌ لطيفة لا بدّ للداعي أن يُحسن الالتزام بها وتقديمها التماساً لاستجابة الباري تعالى لدعائه، ومن هذه الآداب:

الأول - حُسن الظنّ بـه تعالى: إنّ حُسن الظنّ بـه متفرّعٌ عن معرفته سبحانه.. فعلى الداعي أن يُحسن الظنّ باستجابة دعائه ويتذكّر دوماً قوله تعالى: (إِذْ أَعُوذُ بِرَبِّي أَسْتَجِيبُ لَكُمْ) وقوله: (أَمَّنْ يُحِبُّ الْمُهْتَاجَرَ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ) (النمل/ 62). ويتيقّن بأنّ الله تعالى لا يُخلف الميعاد وسيستجيب دعوته، قال رسول الله (ص): "ادعُوا الله وأنتم مُوقنون بالإنجابة"، وقال الإمام الصادق (ع): "إذا دَعَوْتَ فَأَقْبِلَ بِرَقْلَبِكَ وَظُنْنَ حاجَتَكَ بِالبابِ".

الثاني - الوفاء بعهد الله: على الداعي أن يفي بعهد الله ويُطيع أوامره، وهمما من أهم الشروط في استجابة الدّعاء. عن الإمام الصادق (ع) أزمه قال له رجل: جعلت فداك، إنّ الله يقول: (إِذْ أَعُوذُ بِرَبِّي أَسْتَجِيبُ لَكُمْ)، وإنّما ندعو فلا يستجاب لنا، قال: "لأنَّكم لا تَفْعُونَ الله بِعَهْدِهِ وإنَّ الله يقول: (وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِرِ بِعَهْدِكُمْ)، وإنّ الله وَفَى الله لَكُمْ".

الثالث - الإقرار بالذنب: على الداعي أن يعترف بذنبه مقرًا، مذعنًا، تائباً عمّا افترقه من خطايا، وما ارتكبه من ذنوب، من دعاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) المروي عن كميل بن زياد: "وَقَدْ أَتَيْتُكَ يَا إِلَهِي بَعْدَ تَقْصِيرِي وَإِسْرَافِي عَلَى نَفْسِي مُعْتَذِرًا نَادِي مُنْكَسِرًا مُسْتَقْبِلًا مُسْتَغْفِرًا مُنْبِباً مُقْرِرًا مُذْعِنًا مُعْتَمِرًا لَا أَجِدُ مَفَرِّعًا مَمْأَةً كَانَ مَذْنِي وَلَا مَفْزَعًا أَتَوْجَهُ إِلَيْهِ فِي أَمْرِي غَيْرَ قَبُولِكَ عُذْرِي وَإِدْخالِكَ إِيَّاهِي فِي سَعَةِ مِنْ رَحْمَتِكَ، إِلَهِي فَاقْبِلْ عُذْرِي وَارْحَمْ شَدَّةَ ضُرِّي وَفُكَّضِي مِنْ شَدَّ وَثَاقِي"، فالإمام (ع) قدّم الإقرار بالذنب على الطلب والمسألة.

الخامس - ترقيق القلب والخشوع: يُستحب^{*} الدّعاء عند استشعار رقة القلب وحالة الخشية التي تنتابه بذكر الموت والبرزخ ومنازل الآخرة وأهوال يوم المحشر؛ وذلك لأنّ رقة القلب سببٌ في الإخلاص المؤدي إلى القرب من رحمة الله وفضله. روى عن رسول الله (ص) أنسٌ قال: "اغتنموا الدّعاء عند الرّقة، فإنّها رحمة". فكلما رقّ قلب الدّاعي كلما كان مهيئاً لاستقبال ذخائر الرحمة الإلهية، وتحقق قصده في الاستجابة، وعن الإمام الصادق (ع): "إذا اقشعَرْ جلدُكَ ودمَعَتْ عيناكَ ووجْلَ قلبُكَ فَدُونَكَ دُونَكَ وَقَدْ قُصِدَ قَصِدُكَ". قال تعالى: (ادْعُوا رَبَّكُمْ عَيْنَاكَ وَوَجْلَ قَلْبُكَ فَدُونَكَ دُونَكَ وَقَدْ قُصِدَ قَصِدُكَ). قال تعالى: (إِذَا دَعَوْتَنِي تَهَضَّرْ عَيْنَا وَخُفْيَةً) (الأعراف/ 55). وفيما أوحى الله إلى موسى (ع): "يا مُوسى، كُنْ إذا دَعَوْتَنِي خائِفاً مُشْفِقاً وَجْلاً عَفَرْ وَجْهَكَ لِي في التُّرَابِ وَاسْجُدْ لِي بِمَكَارِمِ بَدَنِكَ واقْنُتْ بَينَ يَدَيِّ فِي الْقَيَامِ وَنَاجَنِي حِينَ تُنَاجِيَنِي بِخَشِيشَةٍ مِنْ قَلْبِي وَجْلَهُ".

السادس - عدم القنوط: على الدّاعي أن لا يقنط من رحمة الله، ولا يستبطئ الإجابة فيترك الدّعاء؛ لأنَّ ذلك من الآفات التي تمنع ترتُّب أثر الدّعاء، وهو بذلك أشبه بالزارع الذي بذر بذراً فأخذ يتعاهده ويرعاه، فلمّا استطأ كماله وإدراكه أهمله. فعن أبي بصير، عن الإمام الصادق (ع) أنسٌ قال: "لا يزالُ الْمُؤْمِنُ بِخَيْرٍ وَرَجَاءٍ رَحْمَةً مِنَ الْعَزَّوَجَلَّ مَا لَمْ يُسْتَعْجِلْ فَبَقْنَطَ وَيَتَرُكَ الدّعَاءَ، قُلْتُ لَهُ: كَيْفَ يَسْتَعْجِلُ؟ قَالَ: يَقُولُ قَدْ دَعَوْتُ مُنْذُ كَذَا وَكَذَا

وَمَا أَرَى الإِجَابَةَ".

السابع - الإلحاح بالدُّعاء: في حال تأخّر الإجابة، يجب معاودة الدُّعاء والإلحاح في المسألة، فلعله تأخير الإجابة لمنزلة الداعي عند الله سبحانه، فهو يُحب سمع صوته والإكثار من دعائه، فعليه أن لا يترك ما يُحِبُّه الله سبحانه، فقد روي عن الإمام الباقر (ع) أنسٌ قال: "إنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْأَلُ إِنَّ عَزَّ وَجَلَّ حاجَةً فِي وُخْرٍ عَنْهُ تَعْجِيلَ إِجَابَتِهِ حُبًّا لِصَوْتِهِ وَاسْتِمَاعِ زَحْبِبِهِ". وعليه، فيجب الإلحاح بالدُّعاء في جميع الأحوال، ولما في ذلك من الرحمة، والمغفرة، واستجابة الدعوات، وعن رسول الله (ص): "رَحْمَةُ إِنَّ عَبِيدًا طَلَبَ مِنَ إِنَّ عَزَّ وَجَلَّ حاجَةً فَأَلْجَهُ فِي الدُّعَاءِ اسْتُجْبَبَ لَهُ أَوْ لَمْ يُسْتَجَبْ لَهُ".

الثامن - الدُّعاء في الرخاء: من آداب الدُّعاء أن يدعو العبد في الرخاء على نحو دعائه في الشدة، لما في ذلك من الثقة به، والانقطاع إليه، ولفضلة في دفع البلاء، واستجابة الدعاء عند الشدة، وقد روي الإمام الصادق (ع): "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُسْتَجَابَ لَهُ فِي الشَّدَّةِ فَلَيُكْثِرْ الدُّعَاءَ فِي الرَّخَاءِ".

التاسع - أن يكون عالي الهمة فيما يطلب: أن يدعوا الله سبحانه وتعالى بمعالي الأمور التي لا يمكن تحصيلها إلا ببذل الهمم. فقد ورد عن الإمام الكاظم (ع) أنسٌ قال: "بَكِي أَبُوذَرٌ رَحْمَهُ إِنَّ مِنْ خَشِيَّةِ إِنَّ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى اشْتَكَى بَصَرَهُ، فَقَبَلَ لَهُ: يَا أَبَادَرِ، لَوْ دَعَوْتَ إِنَّ أَنْ يَشْفِيَ بَصَرَكَ". فقال: إِنَّهُ يَعْنِهُ لَمْ يَشْغُلُهُ وَمَا هُوَ مِنْ أَكْبَرِ هَمَّي. قالوا: وَمَا يَشْفَلُكَ عَنْهُ؟ قال: الْعَظِيمَتَانِ: الْجَنَّةُ وَالنَّارُ". ومن القصص الجميلة، ما روي عن ربيعة بن كعب أنسٌ قال: "قال لي ذات يوم رسول الله (ص): يَا رَبِيعَةَ، خَدَمْتِنِي سِبْعَ سِنِينَ أَفَلَا تَسْأَلُنِي حاجَةً؟ فَقَلَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَمْهَلْنِي حَتَّى أُفْكَرَ، فَلَمَّا أَصْبَحَتِ وَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، قَالَ لِي: يَا رَبِيعَةَ، هَاتِ حَاجَتِكَ، فَقَلَتْ: تَسْأَلُ إِنَّ أَنْ يَدْخُلَنِي مَعَكَ الْجَنَّةَ، فَقَالَ لِي: مَنْ عَلَّمَكَ هَذَا؟ فَقَلَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا عَلَّمَنِي أَحَدٌ، لَكِنِي فَكَرْتُ فِي نَفْسِي، وَقَلَتْ: إِنْ سَأَلْتَهُ مَا لَكَ كَانَ إِلَى نَفَادِهِ، وَإِنْ سَأَلْتَهُ عُمْرًا طَوِيلًا وَأَوْلَادًا كَانَ عَاقِبَتِهِمُ الْمَوْتُ. قَالَ رَبِيعَةَ: فَنَكَسَ رَأْسَهُ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: أَفْعَلْتُ ذَلِكَ، فَأَعْذُّكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ".

العاشر - الاضطرار إلى الله تعالى: روى أن الله تعالى أوحى إلى عيسى (ع): "اِدْعُنِي دُعَاءَ الْحَزَنِ الغَرِيقِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مُغَبِّثٌ، يَا عَرِيسَي سَلَنِي وَلَا تَسْأَلْ غَيْرِي فَيَدْعُونِي مِنْكَ الدُّعَاءُ وَمِنْكَ الإِجَابَةُ". ويقول الله تعالى: (أَمَّنْ يُجَبُ الْمُضْطَرُ إِذَا دَعَاهُ

وَ يَكْشِفُ السُّوءَ وَ يَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِنَّهُ مَعَ الدَّاهِرِ قَاتِلًا مَا تَذَكَّرُونَ (النمل/ 62). والاضطرار أن يقطع الإنسان أمله من كل سببٍ سوى الله سبحانه، وأن يجعل قلبه وروحه بين يدي رحمة الله، وأن يرى كل شيء منه قوله، فيربط الأسباب بمسببها الأول وال حقيقي الذي لا يخرج شيء في هذا الوجود من تحت دائرة سلطانه، عن النبي (ص) قال: قال الله عزوجل: "ما من مخلوقٍ يَعْدَهُمْ بِي دُونَ خَلْقِي إِلَّا ضَمَّنتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ رِزْقَهُ، فَإِنْ دَعَنِي أَجَبْتُهُ، وَإِنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ، وَإِنْ اسْتَغْفَرَنِي غَفَرْتُ لَهُ".